

دفع الشبه عن الرسول (ص)

[25] ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الطواهر الى المعاني الواجبة [سبحانه وتعالى، ولا الى إلغاء ما توجه الطواهر من سمات الحدث. ولم يقنعوا أن يقولوا: صفة فعل، حتى قالوا: صفة ذات. ثم لما أثبتوا أنها صفات (ذات) قالوا: لا نحملها على ما توجه اللغة، مثل اليد على النعمة أو القدرة، ولا المجئ على معنى البر واللفظ، ولا الساق على الشدة، ونحو ذلك. بل قالوا: نحملها على طواهرها المتعارفة. والظاهر هو المعهود من نعوت الادميين، والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن، فإن صرف صارف حمل على المجاز. وهم يتخرجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليدا، وقد نصحت للتابع والمتبوع. (عتاب المؤلف مع الحنابلة !) ثم أقول لهم على وجه التوبيخ: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول (وهو تحت السياط): (كيف أقول ما لم يقل ؟ !). هل بلغكم أنه قال: إن الاستواء من صفة الذات المقدسة، أو صفة الفعل ؟ فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء ؟ ! وهذا كله ابتداع قبيح بمن ينكر البدعة ؟ ثم قلت: إن الأحاديث تحمل على طاهرها، وطاهر القدم الجارحة. وإنما يقال: تمر كما جاءت، ولا تقاس بشئ.
